

أضواء البيان

@ 158 مع أن الربط صحيح ، ولا يمكن أن ينفي صلى الله عليه وسلم هو ولا غيره الطرفين في الآية الأخرى ، فلا يقول هو ولا غيره : ليس له ولد ولا أعبد . . . وعلى كل حال ، فالربط بين الشك وسؤال الشك للعالم أمر صحيح ، بخلاف الربط بين العبادة وكون المعبود والداً أو ولداً فلا يصح . . . فاتضح الفرق بين الآيتين وحديث : (لا أشك ولا أسأل أهل الكتاب) رواه قتادة بن دعامة مرسلًا . . .

وبنحوه قال بعض الصحابة . فمن بعدهم ، ومعناه صحيح بلا شك . . . وما قاله الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة يستغربه كل من رآه لقبه وشناعته ، ولم أعلم أحداً من الكفار في ما قصه في كتابه عنهم يتجرأ على مثله أو قريب منه . . . وهذا مع عدم فهمه لما يقول وتناقض كلامه . . . وسنذكر هنا كلامه القبيح للتنبيه على شناعة غلظه ، الديني واللغوي . . . قال في الكشف ما نصه : { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ } وضح ذلك وثبت ببرهان صحيح تورودونه وحجة واضحة تدلون بها ، فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له ، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه . . . وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض ، وهو المبالغة في نفي الولد والإطنا ب فيه ، وألا يترك للناطق به شبهة إلا مضمحلة ، مع الترجمة عن نفسه بإثبات القدم في باب التوحيد ، وذلك أنه علق العبادة بكيونة الولد وهي محال في نفسها ، فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة إثبات الكيونة ، والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها . . .

ونظيره أن يقول العدلي للمجبر : إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذباً عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول : هو شيطان وليس بإله . . . فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر . . . وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا ، مع الدلالة على سماحة المذهب ، وضلالة الذهاب إليه ، والشهادة القاطعة بإحالة والإفصاح عن